المداخل النصرانية للمرأة المسلمة وأسرتها

فاليرى هوفمان

obeikandl.com

obeikandl.com

اعتبر كثير من الإنجيليين أن تفوق النصرانية أمر يمكن ملاحظته بوضوح وخاصة فى عالم الأخلاق والقيم، وقارن هؤلاء استغلال المرأة المسلمة من خلال الوضع المتفوق للمرأة فى المجتمع النصرانى، ونتيجة لذلك شمل جزء كبير من العمل التنصيرى إنشاء المدارس وتعليم الرجال والنساء وفق النموذج الغربى، أما فى الوقت الحاضر وفيما لا يزال معظم الناس فى جميع أنحاء العالم يقرون التفوق التقنى للحضارة الغربية، فإن هذا التفوق على المستوى الأخلاقى مشكوك فيه ومحل تساؤل واليوم وعلى ضوء الواقع الحالى فى تفكك الأسرة فى مجتمعنا الغربى وارتفاع معدلات الجرائم وحالات الطلاق والزيادة المستمرة فى الانحرافات الجنسية لم يتبق لنا إلا القليل الذى نفخر به، وعلينا أن نعيد تقييم موقعنا من المجتمع المسلم وعلاقة الكتاب المقدس بالمرأة المسلمة والأسرة.

١- وضع المرأة فى الإسلام

نلاحظ فى الآية ٣٤ من سورة النساء الأسس القرآنية لإخضاع النساء: **﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾** [النساء: ٣٤][1]. وفى القرآن يعتبر الرجال والنساء متساوين فى القيمة الروحية كما هو واضح فى خلقهم من نفس واحدة (سورة النساء) وإن الأتقياء من الرجال والنساء موعودون بالجنة (سورة التوبة: ٧٢) ومع ذلك فإن شهادة المرأة تعادل نصف شهادة الرجل فى المحاكم (سورة البقرة: ٢٨٢)، وفى البيوت تكون المرأة عرضة لعقاب زوجها البدنى (سورة النساء: ٣٤)، كما أنها ترث نصف ما يرثه أخوها (سورة النساء: ١١)، والرجال لديهم الحق الفردى فى الطلاق (سورة البقرة: ٢٢٧-٢٣٢)، وكذلك حق اتخاذ محظيات من الإماء (سورة النساء: ٣٠، ٣٤) وللمرأة أن تطلب الطلاق.

(1) Dawood's Translation 1974: 370.

ويسهب أدب الحديث فى عرض مقام المرأة الثانوى أبعد من مجرد نقصان حقوقها المشروعة، ولا يرى أدب الحديث المرأة أولاً فى علاقتها بالله ولكن فى دورها أمّاً وزوجة، وإذا أخلصت المرأة فى هذا الدور المنوط بها فإنها تنال الجنة[١]، وقدرة النساء على فعل الخير محدودة، وهناك أحاديث لمحمد تشير إلى أن أغلبية أهل النار من النساء:

لقد رأيت جهنم ولم أر حتى الآن منظرًا أكثر منها رهبة، ومعظم أهل النار من النساء، فقال أولئك الرجال الذين كان النبى يحدثهم «يا رسول الله لماذا؟ فقال: ذلك بسبب كفرهن فسألوا: هل هن جاحدات لأزواجهن وإلى إحسانهم لهن (التى يبديها أزواجهن لهن)؟ وحتى إذا استمريتم أيها الرجال فى معاملتهن بصورة حسنة فإن المرأة إذا رأت شيئًا واحدًا سيئًا منك تقول ما رأيت منك خيرًا قط»[٢].

ويعلق كل من سميث وحداد فى كتابهما قائلين:

إن من أكبر الذنوب فى الإسلام: الشرك (إشراك أحد مع الله) والكفر (جحود أو إنكار نعم الله)، وما يستنتج من هذه الأحاديث إن أسوأ الأشياء التى لا يفعلها الرجل فى علاقته مع الله هى ذات الأشياء التى فعلتها المرأة فى علاقتها مع الرجل واستحقت اللعنة، ويعنى بذلك بصفة خاصة أن الشرك فى حالة المرأة هى تسليم نفسها إلى أكثر من رجل (أو عدم حفظها لشرفها)، والكفر هو إنكارها لإحسان زوجها، ونصل إلى نتيجة مثيرة للأعصاب وهى أنه استنادًا إلى هذه الأحاديث فإن خطيئة المرأة فى حق الرجل تماثل خطيئة الرجل فى حق الله[٣].

وهناك حديث آخر يعطى أسباب المقام الثانوى للمرأة:

أيتها النساء لم أر أحدًا أكثر منكن نقصًا فى العقل والدين فبالنسبة لنقصان الدين... فهو حيضكن الذى يقع عليكن، ويبقى معكن ما شاء الله وبالتالى تبقين بدون صلاة أو صيام... أما بالنسبة لما قلته بالنسبة لنقصان عقلكن فهو أن شهادتكن نصف شهادة الرجل[٤].

---

(1) Smith Hadad, 1975, 34.

(2) **Ibid.**, p. 44.

(3) **Ibid.**, p. 44.

(4) **Ibid.**, p. 45.

وفى مجال المفاهيم المعاصرة عن المرأة وجد **ريتشارد أنتوان** فى قرية عربية «. . . إن فكرة تدنى وضع المرأة يجد أشد تعبير له فى الآراء التى تتعلق بإمكانياتها الأخلاقية، وليس فى مكانتها الثانوية أو فى الآراء التى تخص قابليتها العقلية، يوجد اعتقاد مؤكد أن النساء هن اللواتى يبدأن العلاقات المحرمة، ويعزى النزوع إلى الحرية الجنسية إلى الدوافع الشهوانية التى تحرك النساء»[١].

وكتب **ديفيد جوردن** أيضًا:

«تعانى النساء فى الإسلام من شبهة عميقة الجذور على أنهن غير جديرات بالثقة على المستوى الأخلاقى، وإن ثمة شىء شيطانى أو حتى غير طاهر فيهن»[٢].

وتعتبر النساء فى الفولكور المغربى «مستودع القوى الشيطانية»[٣]. إن لبس الخمار وعزل المرأة اجتماعياً يمكن تفسير ذلك بناء على الاعتقاد بقابلية المرأة للوقوع فى الخطأ ومقدرتها على الإغراء والإغواء الجنسى.

«إن المرأة - هذا المخلوق الضعيف- لا يمكن حمايتها إلا بمراعاة قانون العفة بدقة، فهى تتأثر بأى شىء كما تتأثر المرأة بالتنفس عليها وقد جبلت على الشهوة التى تضطرم فى دخيلة نفسها»[٤].

إننى لا أحاول هنا أن أزعم بأن وجهة النظر هذه عن وضع المرأة هى السائدة فى كل أنحاء العالم الإسلامى، ولا يمكن للمرء أن ينكر أن نمط الحياة الغربى والاختلاط بين الجنسين فى بعض قطاعات المجتمع قد أديا إلى إحداث تغييرات فى وضع المرأة الشرعى وعلاقتها مع الرجال، ومع ذلك فإن الأشياء دائمًا لا تكون واضحة، وتكتب **فاطمة ميرينسى** عن المغرب الحديث:

«يبدو أن العلاقات بين الجنسين تمر بفترة من الشذوذ والتشويش العميق وانعدام القواعد التى تحكمها، والأسس التقليدية التى تحكم العلاقة بين الرجل والمرأة تخرق يومياً، وتشارك أغلبية متزايدة فى هذا الخرق دون أن تتعرض لعقوبات

(1) Antoun 1968: 678.

(2) Gordon 1908: 12.

(3) Doutte 1908: 33.

(4) Antoun 1968: 691.

قانونية أو اجتماعية، وحق المرأة فى شغل الأماكن التى يشغلها الرجل أمر بعيد المنال وغير مقبول سواء على مستوى التشريعات والقوانين أو على المستوى الفكرى، إن حالة الشذوذ هذه ترجع إلى الهوة بين الفكر والواقع»[١].

إن العديد من قطاعات المجتمع فى الشرق الأوسط قد تأثرت عبر القرون بتقاليد ولم تتأثر بعد نسبياً بالمفاهيم الحديثة، وما زال كبار علماء الأزهر ضد فكرة شغل المرأة للوظائف العامة وذلك «بسبب أنوثتهن التى تجعلهن يبتعدن عن العقل والاعتدال»[٢].

ودعا الحاج **شيخ يوسف** فى إيران إلى أن تتحجب المرأة بسبب طبيعتها الحيوانية وقدراتها المحدودة على الحذر والإخلاص والتعقل[٣]، مع ذلك فإن يسوع المسيح يمنح المرأة المسلمة الكرامة والكمال والتطهير الكامل بدمائه ويمنحها أيضًا العضوية الكاملة فى الكنيسة، فكيف يمكننا أن ننقل إليها هذه الأفكار؟

٢- نظرة المرأة المسلمة إلى العالم

تتناول معظم الدراسات عن المرأة المسلمة نظرة الرجل إلى المرأة وكيف يدير الرجال حياة النساء، ولكن نظرة المرأة إلى العالم ظلت أمرًا مبهمًا بالنسبة للغربيين وللرجال من المسلمين.

يقول **س، آر، مارش**: إن هناك ثلاثة أشياء تتصف بها النساء المسلمات:

أولاً: إن لديهن طبيعة يسيطر عليها الخوف، الخوف من الضرب، ومن الأرواح الشريرة، ومن الطلاق ومن سلطة حماتها، ومن أية شائعة تؤدى إلى فقدانها لشرفها.

ثانيًا: النساء يسيطر عليهن رجال أو رجل واحد.

ثالثًا: وعلى الرغم الغشاء الخارجى الناتج عن التأثير الغربى فإن هناك دائمًا خوفًا وخشية من عالم الأرواح اللامنظور واحترامًا لرجال الدين المسلمين وخشية عميقة من الله[٤].

---

(1) Merniss 1975: 51.

(2) Goode 1963.

(3) Yusuf 1965: 356- 357.

(4) Marsh 1975: 69- 70.

لقد أثبتت الدراسات الإثنوغرافية أن هذا التحليل قريب إلى الحقيقة.

وكتبت **إيمى بوست كونست** عن نساء حى **إزام باستى** وهى منطقة مزدحمة بالسكان فى كراتشى:

توضح إلى حد ما عبارات مثل «الرجل ملك المنزل» و«الزوج هو الرب الثانى» أو «الزوج تاج على رأس المرأة»، نوع العلاقة بين الزوج والزوجة، لاحظنا أثناء تواجدنا أن التواضع والطاعة هى مميزات خارجية للعلاقة بين الزوج والزوجة، فعندما دخل الرجل إلى بيته التزمت المرأة بالهدوء وتلاشت ولم تبادر إطلاقًا إلى إعداد الشاى والطعام لنا بل انتظرت أمرًا من زوجها بذلك، وأغلبية النساء هنا على اقتناع تام أنهن لا يستطعن أن يقمن بخطوة دون إذن الرجل، والتأثير الوحيد للرجل فى غيابهن هو أن أغلبية النساء حريصات ألا يثرن فكرة سيئة عنهن لدى الجيران»[1].

تتلقى النساء معظم الأخبار عن العالم الخارجى من أزواجهن وفى هذا الصدد يؤثر الرجال تأثيرًا كبيرا على معتقدات ومواقف زوجاتهم[2]، أما الموضوعات الرئيسية التى تتطرق إليها النساء فى مجالسهن فهى الحمل والولادة والأطفال، ويعتبر الأطفال مصدر فخر بالنسبة لكل أم وترغب النساء فى إنجاب الأولاد الذين ينالون الاحترام ويحترمون فى المقابل أسرهم[3].

إن شرف الأسرة وتماسكها هما قيمتان أساسيتان فى معظم المجتمعات الإسلامية سواء تمسكت الأسرة بالمفاهيم التقليدية عن مكانة الأب أم لا، إن كل ما يقوم به الفرد ينعكس على مفهومه للأسرة، فالأسرة كلها مسئولة عن تصرفات أفرادها، ويرتبط أعضاء الأسرة بروابط متينة من الالتزامات المتبادلة والمسئوليات، وهذا الارتباط الأسرى يعطى أفراد الأسرة الشعور بالأمان ويعكس انعدام الموقف الفردى، وعلى الرغم من محاولة **محمد عبد الرؤوف** أحد الكتاب العصريين أن

---

(1) Emmy Bos Kent. Women of Azan Basti, 1970. p. 26.

(2) **Ibid.**, p. 28.

(3) **Ibid.**, p. 29-31

يبرر بصورة دفاعية اعتماد أفراد الأسرة على بعضهم بعضًا وحقوقهم الفردية إلا أنه يعترف بما يلى خاصة فيما يتعلق بتربية الأطفال الدينية:

طبقًا للشريعة الإسلامية فإن الطفل المنحدر من أب مسلم يعتبر مسلمًا بالولادة، إن الأب الذى يسمح لابنه بأن يؤمن بعقيدة أخرى يعتبر مرتدًا عن دينه[١].

إن المرأة وخاصة الزوجة والأم تمثل الجوانب الأخلاقية للأسرة بالمحافظة على سمعتها وعفتها، والأسرة هى مصدر الأمن والمرأة التى تعيش فى المجتمعات المتمسكة بالتقاليد تفضل أن تبقى فى المحيط المعروف لها من الجيران والأصدقاء والأهل والأقارب.

يعتبر كل رجل من خارج الأسرة لصاً، أما كل امرأة ليست لها علاقة بالأسرة فتعتبر عاهرة وليس من المدهش أن تعتبر الأسرة أية فتاة فيها تتزوج رجلاً من قرية ثانية خسارة لمكانة الأسرة[٢].

وتضيف فاطمة ميرنيسى قائلة:

إن الخوف من الضرب وسوء المعاملة أحد الأسباب التى تجعل الفتاة أو الأسرة تفضل زوجًا يعيش فى نفس الحى أو القرية[٣].

وتؤكد اليزابيت فيرنى من واقع خبرتها فى جنوب العراق بأن النساء فى خوف دائم من الضرب والطلاق أو الحرمان من الثروة، وتتعلم المرأة من صديقاتها هناك أن تطهو الأرز جيدًا وذلك حتى تتجنب ضرب زوجها لها وينصحها بأن تجعل لنفسها اعتباراً حتى لا يطلقها وأن تحصل قدر ما تستطيع على ذهب ومجوهرات منه وتلبسها دائمًا تحسبًا لأية كارثة[٤].

---

(1) Muhammed Abdul- Rauf, **The Islamic View of Women and Family**, 1977, p. 103.

(2) Nadia M. Abu- Zahra, "On Modesty of Women of Arab Muslim Villages: A Reply". American Anthroologist, 72: 1079- 1087 (P. 1085).

(3) Fatima Mernissi, Beyond the Veil, 1975, p. 61.

(4) Elizabeth W. Fernea, Guests of the Skiekh, 1965, pp. 86, 138, 139.

وتقدر النساء فى أزام باتسى الاحترام أكثر من عاطفة الحب: «فلا يمكن أن يكون هنالك حب إلا إذا كان هنالك احترام»[١]، وبينما يعتبر حب الزوج لزوجته إلهاء عن عبادة الله[٢] فإن حبه لأمه ينبغى أن يظل رمزًا للعرفان مدى الحياة[٣]، وتطغى شخصية الحماة فى الأسرة التقليدية حيث يسود الانفصال بين الجنسين، وفى الأسر الأقل تقليدية يصبح الزوج أهم شخصية فى حياة المرأة اليومية[٤]، وتستطيع الحماة أن تمثل الحماية ضد أى ظلم قد يصدر من الزوج ولكن مكانتها تعيق إقامة علاقة صحيحة بين الزوجين، والأم - وليس الابن - هى التى تقرر أمر الزواج وتنفذ القرارات المتعلقة بأسرة ابنها الجديدة.

٣- مشاركة المرأة فى الإسلام

إن مشاركة المرأة فى الإسلام ترتبط عادة بالتزامها بأركان الإسلام الخمسة وتشجع النساء عمومًا على الصلاة فى البيت بدلاً من المساجد، والمحافظة على الصلاة يختلف بين مكان وآخر اختلافًا كبيرًا، وتقول هيلما **جراند كويست**:

«يبدو بأن الرجال والنساء بصورة عامة يعتقدون أن القرآن لا يتعلق بالنساء وهذا قد يفسر تعلقهم الشديد بالعادات القديمة»[٥].

وكتبت **مريم جميلة** وهى أمريكية اعتنقت الإسلام وتسكن فى الباكستان فتقول:

«كثير من الأسر تحتفظ بنسخ من القرآن مغلفة بأغلفة من الحرير موضوعة على أرفف عالية حيث يتجمع عليها الغبار فقط»[٦].

وكتبت **لوسى وود سونردز** تقول إن النساء فى المناطق الريفية فى الدلتا بمصر:

يسمعن القرآن فقط خلال شهر رمضان عندما يرتل فى منازلهن وهذا يحدث فى الأسر ذات المستويات الاقتصادية والاجتماعية الرفيعة أو عندما تتاح للنساء

---

(1) Kunst, p. 41.

(2) Mernissi, p. 14.

(3) Abdul - Rauf, pp. 24, 25.

(4) Mernissi, p. 46.

(5) Hilma Granquist, **Birth & Childhood Among the Arabs**, 1946, p. 154.

(6) Maryan Jameellah, **Islam and the Muslim Woman Today**, 1976, p. 9.

سمـاعه فى الخارج خـلال أيام المأتم، أو عندما يزرن المقابر فى أيام خـاصة، ومن ناحية أخـرى للنساء معرفة كبـيرة بالممارسات السحـرية، ويذهبن إلى الشيوخ فى القرى المجاورة للعلاج ولمنع الأضرار والسحر وللحصول على الأشياء التى تحميهن أو تجلب الضرر للآخرين، ويسـتخدم الرجال مثل هذه الوسائل إلا أن النـساء أكثر صراحة ويمارسنها علانية بينما يخفيها الرجال بصورة خاصة إذا كانوا متعلمين[1].

وعلى الرغم من أنه يصعب على النسـاء ارتياد المساجد الاعتيـادية أحيانًا إلا أن هنالك العديد من أماكن العبادة التى لا تخضع لهذا التقييد، ففى المناسبات الخاصة (كالاحتـفال بميلاد أو وفـاة ولى أو رجل صالح أو شيخ) يختلط الرجـال والنساء بحـرية فى الغـالب، وفى بعض البلدان تخـصص زوايا (زاوية هى أخـوة دينيـة) للرجال وأخـرى للنساء تشكل جزءًا مهـمًا من حياة النسـاء الاجتماعيـة والدينية، وتلعب النساء المتدينات كالشـيخات والتقيات دورًا مهـمًا فى نشاطات المرأة الدينية بالإضافة إلى الدور الاقتصادى الذى يلعـبنه فى نطاق أسرهن، لقد ظلت كثير من جوانب الحياة الدينيـة للمرأة المسلمة مبهمة لأننا ركزنا على الإسـلام الرسمى أكثر من الإسلام الشعبى.

ويكتب روبرت وإليزابت فيرنى:

ربما يعتبـر المستشرقـون الغربيون الصوفيـة فى أشكالها المتعددة رد فـعل شعبى شامل لرسـميات الإسـلام التقليدى، وكـما يعرف كل شـخص لديه اطلاع وثيق بنماذج السلوك والمعتقدات فى قرى الشرق الأوسط (أو المدن الصغيرة والكبيرة) إن هذه المناطق مليئة بالصالحين والأضرحة وقوى الخير وقوى الشر وعيون الحسد وكل هذه القوى تسـاعد فى إيجاد تصور شـامل يلعب فيه الإسلام الرسـمى دورًا هامًا ولكن ليس دورًا كليًـا، وهكذا فـإن جهلنا بالعـالم الدينى الخـاص لنساء الشـرق الأوسط جزء من عدم معرفتنا لأنماط الاعتقاد الشعبى[2].

---

(1) Quoted in Robert A, Fernea and Elizabeath W. Fernea, AVariation in Religious Observence Among Islamic Woman", **Scholars, Saints and Sufis. Muslim Religious Instiutions Since 1500**. Edited by Nikkie R. Keddie, 1972, p. 389.

(2) **Ibid**., p. 391.

وقد راقب هذا الفريق المؤلف من زوج وزوجة مناسبات القراءات الشعبية الدينية التى تتم فى شهر رمضان فى جنوب العراق والقراءة كانت واحدة من المناسبات القليلة التى تسمح للنساء بالالتقاء فى مجموعات تمثل كل قطاعات المجتمع، وبسبب ذلك لوحظ أن النساء يشتركن فى مثل هذه المناسبات أكثر من الرجال الذين كانوا أكثر سلبية، وفى الوسط النسائى كذلك فإن أنماط القيادة فى المجتمع غير واضحة المعالم بحيث يشجع أكبر عدد من النساء لتحمل مسئولية الإشراف على مناسبة القراءة والترتيل، ويتبع القراءات ترتيل القرآن حيث تقرأ كل امرأة بعض الآيات مما يتيح المجال لكل واحدة من النساء لأن تشارك فى العملية.

وتنتشر فى العالم الإسلامى ملايين الأضرحة لرجال صالحين ونساء صالحات يطلب الناس بركاتهم، وتلعب هذه الأضرحة فى الشرق الأوسط دورًا هامًا فى حياة المرأة، فالنساء يفدن إليها لتقديم النذور ويطلبن العون فى الأمور التى تهمهن، وفى كثير من المناطق فإن سكان ضفاف نهر النيل يفدون إلى هذه الأضرحة محملين بالطعام والنذور ويتوسلون بالأدعية ويأخذون على أنفسهم العهود أو يصرحون بما فى نفوسهم، وتنتشر ظاهرة الزار لطرد الأرواح الشريرة بين كثير من الطبقات الاجتماعية فى مصر، ومن المؤكد أن الزار يستخدم للتنفيس عن قدر كبير من التوترات الداخلية والضغوط النفسية التى تعانى منها النساء، وتقع المرأة فى حلقة الزار فى غيبوبة ونشوة وترقص بعنف وتمسك بشعر الشيخة التى تعلمها الرقص وتضحك وتبكى بشدة، وعلى الرغم من أن الزار غير شرعى ويعتبره المسلمون المعاصرون غير إسلامى فإنه ما زال يمارس على نطاق واسع ويمارسه حتى أولئك الذين يزعمون بأنهم لا يؤمنون بفائدته.

ويختتم روبرت وإليزابيت فيرنى قائلين:

مهما كانت العزلة بين الجنسين فى مجتمعات شرق أوسطية فإن الدين يوفر للنساء عادة مجالاً للنشاط خارج المنزل، وفى كثير من الحالات استخدمت النساء هذه الحرية لتطوير طقوس وشعائر ذات معنى يعكس حاجاتهن واهتماماتهن، وقد يكون بعد النساء عن العلماء الذين حددوا معالم الالتزام الدينى وحرموه هو

السبب فى ممارسة هـذه الحرية وفى هذا الصدد قد يختلف وضع الـنساء قليلاً عن وضع الرجال[1].

إن نساء مثل المتصوفة **رابعة العدوية** التى عاشت فى القرن الثامن الميلادى أو رجالاً مثل العالم **ابن تيمية** الذى عاش فى القرن الرابع عـشر الميلادى طراز نادر فى الإسلام، وقليل من النساء تبحـرن فى العلوم الإسلامية أو زعمن أنهن يحببن الله ويعرفنه، وتعتبر رابعة الـعدوية حالة نادرة الحدوث وغريبة فى التاريخ الإسلامى بأسلوبها الحياتى المتسم بالتبتل ومخالطة الرجال، وترى **فاطمة ميرنيسى** أن أغلبيـة النساء يعـتقـدن أن الله لا يتحدث إلـى النساء[2]، وتلجأ الـنساء إلى الصالحـين والأرواح والطلاسم والشعوذة والـسحر، انظروا إلى الصـورة المغايرة لذلك فى النصـرانية حـيث نرى الرب جالسًـا فوق حـائط يخبـر امرأة سـامرية يحتقرها المجتمع بأنه يرغب فى أن يمنحهـا حياة أبدية، وفى المسيح فقط ستجد المرأة المسلمـة الكرامة والكمـال والحرية من الخـوف وحيـاة جديدة بقـوة الروح القدس.

٤- الأسرة وزرع الكنيسة

كتب **دكتور تيـرى هولبرت** من مدرسة **كولومبـيا للإنجيل وللإرساليـات التنصيرية** فى مقال **فى مجلة الإرساليات الإنجيلية** ما يلى:

إن المنزل هو عامـل أساسى فى التنصيـر ونمو الكنيسـة... فللتنصيـر الأسرى روابط إنجيلية واستراتيجية قوية مع مبادئ نمو الكنيسة ويشمل ذلك جانبين[2] المنزل النصرانى وسيلة لـتنصير الأسرة الواسعـة والمجتمع[3] وتعتبر الأسـرة الوثنية هدفًا للتنصير[3].

ويذكر المؤلف كيف يذهب المنصرون فى سـيرالون أولاً إلى الشخص الذى بيده السلطة ويطلبون منه الإذن لتعليم الناس:

---

(1) **Ibid.**, p. 401

(2) Mernissi, p. 81.

(3) Terry C. Hulbert, "Families are Both the Means and Goal of Evanelism" Evengelical Missions Quarterly.

تعرض على الناس أساسيات الكتاب المقدس خلال مرحلة اتخاذ القرار بالسماح لهم بإبلاغ الرسالة، وعندما يأذن لهم زعيم القرية بالدعوة يصبح الأهالى أكثر استعدادًا للإصغاء للمنصرين مما لو علموا أن هؤلاء قد تخطوا زعيمهم، وحتى ولو كان الحاكم أو الزعيم مقاومًا للكتاب المقدس فإنه غالبًا ما يعطى الإذن بتدريسه إذا ما طلب منه ذلك باحترام، وما يمكن قوله عن وضع القرية ينطبق على الأسرة، فالمدخل الملائم فى طلب الإذن باحترام من رب الأسرة يأتى بنتائج مثمرة[1].

وقد تعامل الرب بالتأكيد مع الأسر باعتبارها وحدات فى العهدين القديم والجديد، وكان هذا الأسلوب عاملاً أساسيًا فى دعوة **الأب زكريا فى مصر** وعلى ضوء ما تقدم ذكره عن تأثير الرجال على النساء والذى يتضح بجلاء فى الدراسة التى قدمتها **إيمى بوس كنست** عن النساء فى **آرام باستى** يبدو أن الاتصال بالمرأة مباشرة لإبلاغها رسالة الكتاب المقدس متخطين بذلك سلطة الرجل يمكن أن تقلل من الفعالية والتأثير وقد تؤدى إلى نتائج لا تحمد عقباها، وعلى الرغم من أننا لا ننكر أن المسيح يدعوننا لأن نتبعه فرادى فإن فردية ثقافتنا قد تجعل أساليبنا التنصيرية غير ملائمة للثقافة الإسلامية: «إن التنصير الأسرى يحترم تماسك البيت ويتحرك فى اتجاه الوحدة الاجتماعية التى خلقها الرب وليس ضدها»[2] أليست هذه إجابة إنجيلية لمشكلة العزل الاجتماعى؟ هل هناك قيود على تنفيذ هذه الخطة فى العالم الإسلامى؟ فمثلاً دعا بطرس والرسول بولس الأسر فى وقت واحد، ووجد **مارش** نفسه يقرأ نصوصًا مقدسة لأسرة كاملة من قبائل الصحراء الغربية وكانت النساء على الرغم من جهلهن يستمعن إليه[3]، فهل هناك قيود فى تنفيذ هذا فى مجتمع يعزل بين الجنسين.

أما الجانب الآخر من التنصير الأسرى فهو تأثير الأسر النصرانية، ويكتب **دكتور هولبرت** أن الأسر النصرانية فى جنوب أفريقيا التى تدعو الأسر الهندوسية لقضاء

---

(1) **Ibid.**, p. 171.

(2) Huldert, p. 172.

(3) C. R. Marsh, Too Hard for God, 1970, pp. 57, 58.

بعض الوقت معـها قد تمكنت من تـنصير أسر بـأكملها: «بهـذا الأسلوب العملى تكتشف الأسرة الهندوسية يسـوع المسـيح من خلال التنصير الأسـرى، وهو أمر لا يحدث لمجرد رؤية مبانى الكنائس أو بالاتصال الفردى»[1].

٥- المرأة المثالية فى المجتمع الإسلامى وما يعنيه هذا بالنسبة لنا

من المؤكد أن أية امرأة غربية عـاشت فى العالم الإسلامى لابد من أن تكون قد مرت بالتـجربة المهـينة التى تنتج عن سلوك الرجل الذى يتـسم بعدم احـترام المرأة ومضـايقتها، ولكن مـا هى الإساءة التى ارتكبناها فى حقـهم؟ هل نرفض الالتزام بقواعد الحشمة فى اللبس والسلوك؟ هل نخـتلط بالرجال بحرية، ونسير معهم فى الشوارع ونجلس بجانبهم فى دور العبادة؟ ربما نعذر أنفسنا مدركين أنهم يعرفون أننا مختلفـين عنهم ومن ثم لا يتوقعـون منا أن نلتزم بقواعدهم السلوكـية، وطالما أننا تمسكنا بهذا الاختلاف فـسنعتبر حتمًا أجانب وغـرباء، إن العالم الإسلامى يعرف عن الانحلال الجنسى فى مجتـمعاتنا، والافتراض هو أننا مارقات وغـير مصونات حتـى نثبت لهم بأنفـسنا أننا على عكس ذلك، وعلى الرغم من أن المرأة المسلـمة تعتبر كالمرأة التى يمكن أن تتأثر بأية نغمة وتتأثر سمعتها طبقًا لذلك فنحن متهمون بالضـعف والانحلال أصـلاً، ولا يمكن أن نكسب الثقـة والاحتـرام إلا بالصـبر وباستعدادنا للتحلى بكل ما يبدو مشرفًا فى نظرهم وفى وجودهم.

كتبت إيمى بوس كونست:

عندما ازدادت مـعرفتنا بعـادات وأساليب المرأة الحياتـية، وهذا أمر يأخذ وقـتًا طويلاً من الأجنبى فإننـا أحسسنا أكثـر بالحاجة للانسـجام السلوكى معـهم، ولقد اخترنا الالتزام بالخـصائص الظاهرية لهؤلاء الناس فى لبسهم وأسلوب مـخاطبتهم وعاداتهم وقد نجـحنا فى ذلك بدرجة نالت إعجابهم مما جعل حـتى النساء يطالبننا بإلحاح أن نكيف أنفـسنا كلية مع أسلوب حيـاتهم، وعلى الرغم من هذا وذاك لم نشعر إلا نادرًا بأنهم يعتبروننا جزءًا منهم[2].

---

(1) Hulbert, p. 176.

(2) Hunst, p. 8.

ولو قدر للآنسة **كونست** أن تمكث مع بعض هؤلاء النساء طويلاً وترتبط أكثر بحياتهن اليومية فهل كانت ستشعر بأنها جزء منهن؟ ما مفاتيح القبول فى هذه المجتمعات؟ ففى جنوب العراق لبست **إليزابيت فيرنى** الحجاب والعباءة ثم وجدت فى نهاية الأمر أن النساء يقبلنها فى مجتمعهن عندما تعلمت اللغة العربية إلى الحد الذى مكنها من الإجابة على تعليقاتهم الساخرة: «وقد أدت سرعة البديهة إلى النجاح بصورة مذهلة بينما فشل أسلوبى السابق الذى اتسم بالرقة أحيانًا والمداهنة أحيانًا أخرى»[١].

ما هى المرأة المثالية فى المجتمع المسلم؟

على الرغم من أن المدينة والريف تمثلان عالمين متباينين فإن المرأة الصالحة تظل هى ذات المرأة فى هذين العالمين، ويظل إخلاصها فوق كل شبهة وتعمل بجد وتكون أمّاً وزوجة ممتازة فى وقت واحد وطباخة ماهرة وربة بيت بارعة وزوجة هادئة مطيعة لزوجها، وللنساء هنا تأثير ولكن دون إكراه ودون إعلان وفوق كل ذلك لا يشكل هذا عارًا على الرجل[٢].

إن ديننا هو دين محبة، وقد قالت امرأة محمدية فى مستشفى تنصيرى: «كل ما أتعلمه هنا هو عن المحبة، إننا لا نجد ذكرًا للمحبة فى ديننا»[٣].

إن محبة المسيح هى التى ستلبى حاجة المرأة المسلمة، ومع ذلك تظل المرأة المسلمة ترى بأن الاحترام يأتى قبل المحبة[٤]، وبالتأكيد إن احترامنا السامى للمرأة المسلمة يمكن أن يكون من خلال الاعتراف بالخير الذى فى قيمها كذلك بتلائمنا مع أساليبها.

٦- اقتراحات

١- أن نحترم أسلوب الحشمة والفصل بين الجنسين بين الطبقات فى البلاد التى يسود فيها ذلك.

---

(1) Ferneam **Guests of the Sheikh**, p. 140.

(2) **Ibid.**, p. 65.

(3) Dr. and Mrs. Samuel Zwemer. **Moslem Women**, 1929, p. 69.

(4) Kunst, pp. 41, 42.

٢- إضافة إلى الشعائر العبادية المشتركة للجنسين فإن نشاطات النساء فى بيوتهن مهمة، كى تشعر النساء بالراحة إذا ما شاركن وعبرن عن أنفسهن بحرية.

٣- أن نعترف بسلطة الرجال الذين هم رؤساء الأسر ونحترم ذلك، ونحاول أن نبلغ أسرًا كاملة فى وقت واحد.

٤- أن نحاول البحث عن النساء المعروفات بتدينهن أو زعيمات فى مجتمعاتهن وأن نعمل من خلالهن.

٥- يجب أن نقدم قوة روح المسيح بديلاً نصرانيّاً لتأثير الشيطان فى حياة النساء المسلمات.

إننى أدعو المشاركين والمشاركات فى هذا المؤتمر لأن يعقبوا على مدى نجاح أو فشل هذه المقترحات فى مجال التنصير والأسلوب الذى يتم به تنفيذها فى العالم الإسلامى وأن يضيفوا إليها ويستطردوا فى توضيحها.

خلاصة تعقيبات المشاركين

كتب أحد القراء يقول عن هذه الدراسة: «إنها مرضية وشاملة بصفة عامة على الرغم من أنها ربما قد ركزت على المجتمعات الإسلامية المنغلقة أكثر من العالم الإسلامى الحديث»، ويرى القراء بأن الاقتراحات التى أوردتها فاليرى هوفمان كانت بداية جيدة، لقد عقب على هذا البحث عدد قليل من القراء لأنه كان من أواخر البحوث المقدمة، ولكن عددًا من هؤلاء قد قدموا بعض المقترحات التى تدعو إلى تطوير واستعمال المقدرة والقابلية على الخطط وبخاصة أن أغلبية النساء المسلمات أميات، وإلى اكتشاف وسائل لمساعدة المرأة المسلمة فى أمور الولادة الطبيعية ورعاية الأطفال، وجاءت هذه الاقتراحات على ضوء ما طرحته الكاتبة من أن الحمل والولادة هى من الأمور المهمة لدى النساء المسلمات، وهناك إحساس بأن استخدام المستشفيات فى مسألة الولادة وسيلة للتنصير كان أمرًا خاطئًا جداً.

رد الكاتبة على تعقيبات المشاركين

لقد كانت المعوقات لهذا النوع من الأبحاث واضحة منذ البداية، إنه من السذاجة اعتبار كل النساء المسلمات وحدة واحدة، مثلما أنه من السذاجة اعتبار

المسلمين وحدة لا تتجزأ، ولم يكن هدفى من هذا البحث رسم صورة «للمرأة المسلمة» ولكن تقييم العوامل التى ينبغى أن توضع فى الاعتبار قبل أن نستطيع تخطيط استراتيجية محددة لإيصال الكتاب المقدس إلى النساء المسلمات، وليس كل واحد من هذه العوامل منفرداً مسئول عن واقع ومستقبل المرأة المسلمة ولكنها جميعًا تتفاعل مع بعضها بدرجات مختلفة وحسب الحالة الخاصة، لقد استشهدت بالأسس القرآنية لإخضاع النساء دون أن أعلق المسئولية على الإسلام إزاء وضع المرأة فى أغلب المجتمعات الإسلامية، أو فيما إذا كان ما يعتبره المسلم إسلامياً هو فى الحقيقة يستند إلى القرآن، كما أننى لم أتمكن من إعطاء كافة مضامين المعلومات التى أوردتها وذلك بسبب ضيق المجال ولهذا بقى البحث غير متماسك ولا أنكر هنا الاختلافات الكبيرة بين النساء فى البلاد الإسلامية المختلفة أو حقيقة أن الفصل بين الجنسين قد بدأ يقل، ولقد حاولت ألا أقيد المصطلحات التى استخدمتها بمفاهيم أو معان محددة، وعلى كل حال فإننى أعتقد بأن التغييرات كانت أكثر سطحية عما يرى بعض الناس أو عما يمنون به أنفسهم، وتكشف تعليقات **فاطمة ميرنيسى** فى الصفحة الرابعة من هذه الدراسة هذا الارتباك العميق الناتج من هذا التغيير السطحى والذى لا ينسجم مع تفكير وعقول مثل هؤلاء الناس، ولا تزال مسألة شرف الأسرة سواء فى داخل بيئة أسرة تقليدية أو بدون هذه البيئة قيمة كبيرة، وكثيراً ما رأيت التناقض فى تونس فيما يقول بعض الناس إنه مقبول اجتماعياً ومما يقبله الناس فعلاً، فالطلاب والطالبات الذين يتحدثون مع بعضهم بعضًا بحرية داخل أسوار الجامعة يفترقون عن بعضهم عندما يخرجون خارج الجامعة، وتتعرض المرأة التى تعمل فى الشرطة إلى السخرية والتندر، وهناك شكوك فى عفة أية امرأة تدخل مطعمًا، ومع ذلك فإن المظاهر الخارجية تشير إلى أن المرأة التونسية هى من أكثر النساء تحرراً فى العالم العربى، إنى لا أرى أن دراساتى هذه جاءت خارج إطار العصر بالنسبة لأغلبية النساء المسلمات، ولكننى أتفق مع ميشيل على أنه يتعين علينا أن نكون مستعدين لنتجاوب مع النساء غير المرتبطات بأدوار تقليدية، ويجب ألا نغفل حقيقة أن النساء المسلمات والمتعلمات هن فى نهاية الأمر مسلمات، ومن أهداف البحث الذى تقوم به قوة العمل حول

وضع الاستراتيجيات الخاصة بالنساء والأطفال هو التوصل إلى فهم أفضل للاختلافات بين النساء فى الطبقات الاجتماعية والبلدان المختلفة، وتعتبر دراستى هذه بمثابة مقدمة عامة إذ أن المجتمعات والطبقات الاجتماعية يجب أن تعالج فى بحث منفصل، ويشير **جاد الله غريب** فى تعقيبه على دراستى إلى سورة الأعراف (الآيات: ١١-١٧) التى تتحدث عن قصة رفض الشيطان للسجود لآدم واللعنة التى حلت على الشيطان نتيجة عصيانه أمر الله، وعلى الرغم من أنه قد يتبادر إلى أذهان بعض الناس استنادًا إلى حقيقة أن آدم وليست حواء هو الذى كان سيسجد له على أن الرجل متفوق على المرأة ولكن لم يرد فى الآيات أن آدم يمثل الجنس البشرى ولم يكن من الواضح إذا كانت حواء قد خلقت قبل هذه الحادثة، وأخيرًا أتوجه إلى **ديفيد أوين** بخالص شكرى لاقتراحاته القيمة.

لقد فكرت فى طريقة حفظ الإنجيل وترديده على مسامع النساء المسلمات فى الاجتماعات على أنه نشاط تنصيرى وينبغى أن تكشف البحوث والتجارب عن كيفية مشاركة النساء فى الإسلام وتكييف ذلك بصورة فعالة للنساء اللاتى يبحثن عن المسيح.

●●●

المراجع

Abdul- Rauf. Muhammad

1977 **The Islamic View of Women and the Family. New York**: Robert Speller & Sons. Inc.

Abu- Zahra, Nadia M.

1970 "On the Modesty of Women in Arab Muslim Villages: A Reply", **American Anthropologist** 72: 1079- 1087.

Antoun, Richard T.

1968 "On the Modesty of Women in Arab Muslim Villages", **American Anthropologist** 70: 671- 697.

Dawood, N.J.

1974 **The Koran**. Penguin Books.

Doutte, Edmund

1908 **Magie et Religion dans l'Afrique du Nord**. Algiers: Societe Musulmane du Maghreb.

Fernea, Elizabeth W.

1965 **Guests of the Sheik**. New York: Doubleday & Co., Inc.

1970 **A View of the Nile**. New York: Doubleday & Co., Inc.

1975 **A Street in Marrakech.** New York: Doubleday & Co., Inc.

Fernea, Robert A. and Elizabeth W. Fernea

1972 "Variation in Religious Observance among Islamic Women", **Scholars, Saints and Sufis: Muslim Religious Institutions Since 1500**. Edited by Nikkie R. Keddie University of California Press, pp. 385-401.

obeikandl.com

Goode, W.J.

1963 **World Revolution and Family Patterns**, Glencoe: The Free Press.

Gordon, David C.

1968 **Women of Algeria: An Essay on Change**, Harvard University.

Granquist, Hilma

1947 **Birth and Childhood Among the Arabs**. Hilsingfors.

Hulbert, Terry C.

1978 "Families are both the means and goal of evangelism", **Evangelical Missions Quarterly** 14: 171- 177.

Jameelah, Maryam

1976 **Islam and the Muslim Woman Today**. Labore: Mohammad Yusuf Khan.

Kunst, Emmy. Bos

1970 **Women of Azam Basti.**

Marsh. C.R.

1970 Too **Hard for God**? Bath: Echoes of Service.

1975 **Share Your Faith With A Muslim**. Chicago: Moody Bible Institute.

Mernissi, Fatima

1975 **Beyond the Veil**. Cambridge, Mass: Schenkman.

Smith, Jane I. and Yvonne Y. Haddad

1975 "Women in the Afterlife: The Islamic View As Seen From Quran and Tradition", **Journal of the American Academy of Religion** 43: 39-50.

obeikandl.com

Yonan, Issac Malek

1898 **Persian Women.** Nashville: Cumberland Presbyterian Publishing House.

Yusuf, Hajji Shaykh

1965 "In Defense of the Veil", **The Contemporary Middle East**. Edited by B. Rivlin and J.S. Szyliowicz.

Zwemer, Dr. and Mrs. Samuel Zwemer

1926 **Moslem Women**. West Medford, Mass: The Central Committee of the United Study of Foreign Missions.

●●●

obeikandl.com